رد على مراجعة
كتاب « تاريخ الصهيونية »

نشرت « شؤون فلسطينية » (العدد ٧٧ ، نيسان / ابريل ١٩٧٨ ، ص ١٤٨ ـ ١٥٨) مراجعة للجزء الاول من كتابي « تاريخ الصهيونية » ، كتبها سمير ايوب. ولدى اعتراضات عديدة على هذه المراجعة وانتقادات لها .

تحتوي المراجعة المشار اليها على عدد لا بأس به من المغالطات والافتراءات التي لا مبرر لها . وقد وصلت تلك المغالطات ـ الافتراءات الى درجة من « الجرأة » لا استطيع معها الا القول اما ان المراجعة كتبت عن سوء نية مسبقة ومبيتة ، بهدف الاساءة الى الكتاب ومؤلفه ، لغاية في نفس يعقوب ، او ان المراجع اراد فقط ان يستعرض عضلاته « العلمية » . ومع وصولي الى هذا الاستنتاج فكرت في الامتناع عن كتابة هذا الرد ، الا انني اثرت اخيرا القيام بذلك ، خشية ان تتحول المتاجرة بعدم المعرفة الى فضيلة ، او تعتبر النظرة الضيقة الافق ميزة . كذلك يهمني ان اوضح لمحرري « شؤون فلسطينية » وناشريها ، انهم لم يقدموا خدمة علمية كبيرة عندما قاموا بنشرها ، بل على العكس حملوا انفسهم قسطا من المسؤولية عما جاء فيها .

يستهل سمير ايوب مراجعته الطويلة بعرض مبسط لمحتويات الكتاب ـ وهذه ، على كل حال ، آخر « موضات » مراجعات الكتب التي اخترعها نوع من القراء العرب ، بينما برع نوع اخر من الصحف والمجلات في نشرها ـ مع ان العادة درجت عن ان تكون المراجعة قصيرة ، خلاصتها عرض الكتاب المراجع باختصار ، من خلال انتقاد نواقصه او لفت النظر الى محاسنه، وبشكل سريع ، بهدف مساعدة من يطلع عليها ان يقرر اذا كان من الواجب عليه اقتناء ذلك الكتاب او قراءته او اخذ علم بوجوده فقط (وهناك نوع آخر من المراجعات ، هي عبارة عن « قراءة » للكتاب ونقاش لمحتوياته ـ ولكن سمير ايوب موجود في واد آخر) . غير ان بعض المراجعات اصبحت عكس ذلك ، ولذلك يقتضي ان تكون الردود عليها عكس الردود المألوفة ايضا .

بعد عرض محتويات الكتاب بصورة مبسطة،تسمح للمراجع بالتهرب من التعامل مع المقولات الاساسية الواردة فيه، وتغطي بالتالي على ضحالة معلوماته ، ينتقل سمير ايوب الى التفاصيل ، فيورد انتقاداته تحت عناوين مختلفة ، منها « اشارات عامة » و « ملاحظات في الشكل » ، ثم يعود الى « محتوى الكتاب » وينتقل الى « منهج البحث » ويختتم بما يسميه «ملاحظات في النتائج» . والواضح من هذا القفز بين العناوين المختلفة ان كاتب المراجعة لم يستطع ان يجد طريقة لترتيب مادة من ١١ صفحة فقط بشكل منطقي ، علمي ومنهجي ، فراح يكرر افكاره واقواله ويقفز من نقطة الى اخرى، ثم يعود الى نقطة الانطلاق. ولكي نستطيع كتابة هذا الرد ، قمنا بـ « مراجعة » لمراجعة سمير ايوب ، جمعنا في نهايتها اعتراضاته وانتقاداته واسس وجهة نظره، وحاولنا جهدنا استخلاص فحوى ما جاء في مقولاته المتكررة ، ثم صنفنا ما توصلنا اليه وفقا لرؤوس اقلام . وسيكون ردنا وفقا لذلك .

(١)

ان اول ما يلفت النظر في المراجعة هو